

(تفسير الشيخ البراك)

القارئ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ٩٧-١٠٠]

الشيخ: إلى هنا.

الحمد لله، يقول الله - تعالى -: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ} في هذه الآيات وعيدٌ للمقيمين في أرض الكفر شحًا بالأهل والوطن، فإنَّ الملائكة تُوخَّجهم {فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا} قال الله: {فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} فهذه الآية تدلُّ على وجوب الهجرة من بلاد الكفار، فيجب على من آمن بالله ورسوله ألا يبقى بين ظهراني الكفار بل عليه أن يتحلَّ لِيُظْهَرَ دينه ويقيم دينه، أمَّا أن يبقى كاتمًا لدينه وهو قادرٌ على الهجرة فهذا إصرارٌ على حال ما آمن، لو صدق في إيمانه لرحلَ وترك الوطن الذي لا يستطيع، لا يستطيع فيه أن يظهر دينه ولهذا قال تعالى: {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} فعلم أن قولهم قول أولئك: {كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ} ليس صحيحًا؛ لأنهم اعتذروا بأنهم مستضعفون وغير قادرين وهم بذلك كاذبون، بل هم قادرون على الهجرة {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} فتوعد القاعدين عن الهجرة مع قدرتهم عليها، واستثنى من هذا الوعيد من كان مستضعفًا حقيقة لا يستطيع حيلة ولا يهتدي طريقة {لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا}.

ثم ذكر فضل الهجرة وأن من عزم على الهجرة وفعل ما يستطيع من ذلك فإنَّ الله أوجب له عليه على نفسه سبحانه الأجر {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ} يدركه الموت أين؟ عند أول خطوة، لو يدركه الموت عند بابه لكانه قد عزم، عزم على الهجرة {فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} وفي هذا أعظم ترغيبٍ بالعزم على الهجرة وبذل الجهد في ذلك، فمن عزم على الهجرة وفعل ما يستطيع ولو مات ولم يبلغ مراده ولم يبلغ مرامه، وقال تعالى:

{يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ} هذا يدلُّ على أنَّه لو أدركه الموتُ عندَ بابه لثبَّتَ له هذا الوعدُ {فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ  
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}.